مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 149 (4): 176-189

Damascus university journal of Historical Studies
V 149 (4):176-189

آلهة الزراعة وتجليات الخصوبة في الفكر الديني المصري القديم

محمد أمين محمود حجازي، لينا علي محسن

طالب دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق.

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق.

الملخص:

يتناول هذا البحث العلاقة الوثيقة والمتشابكة بين آلهة الزراعة وتجليات الخصوبة في الفكر الديني المصري القديم، كاشفًا عن الأبعاد الرمزية والوظيفية التي شكّلت تصوّر المصريين القدماء لدورة الطبيعة والإنتاج الزراعي. يعالج البحث هذا الموضوع عبر محورين رئيسيين، يتطرق أولهما إلى أبرز الآلهة المرتبطة بالزراعة، مثل أوزير، إيزيس، مين، رننوتت، حابي، نيت، سخمت وباستت، مبرزًا أدوارهم في الحفاظ على النظام الزراعي وضمان استمرارية الخصب. أما المحور الثاني فيستجلي البنية الفكرية التي أنتجت مفهوم الخصوبة، من حيث ارتباطها بالطقوس والمعتقدات والممارسات اليومية، وبتجليات رمزية كالفيضان والغرين والبذور والولادة، بما يُبرز كيفية تديين الطبيعة وربط الفعل الزراعي بالإرادة الإلهية. ويُظهر البحث القيمة العلمية والدينية لهذه العلاقة، ومدى انعكاسها على تشكيل وعي جمعي مصري استند إلى القداسة في تدبير شؤون الزراعة والخصب والوفرة.

الكلمات المفتاحية: آلهة الزراعة المصرية، الفكر الديني، الخصوبة، أوزير، الفيضان، رمزية الغرين، رننوتت.

تاريخ الايداع: **2025/7/22**
تاريخ النشر: **2025/8/25**

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب**CC BY-NC-SA**

The gods of agriculture and fertility manifestations in the ancient Egyptian religious thought

Muhammad Amin Hegazi[1], Lina Ali Mohsen[2]

PhD candidate, Department of History, Faculty of Arts, Damascus University.

Assistant Professor, Department of History, Faculty of Arts, Damascus University.

summary

This study explores the intricate and profound relationship between agricultural deities and manifestations of fertility in ancient Egyptian religious thought, revealing the symbolic and functional dimensions that shaped the Egyptians' perception of nature's cycle and agricultural production. The research addresses the topic through two main axes: the first focuses on prominent agricultural deities—such as Osiris, Isis, Min, Renenutet, Hapy, Neith, Sekhmet, and Bastet—highlighting their roles in maintaining the agricultural order and ensuring the continuity of fertility. The second axis investigates the intellectual framework that generated the concept of fertility, examining its connection to rituals, beliefs, and daily practices, as well as to symbolic representations such as the inundation, silt, seeds, and birth. This analysis demonstrates how nature was sacralized and agricultural activity was linked to divine will. The study reveals the scientific and religious significance of this relationship and its impact on shaping a collective Egyptian consciousness rooted in sacred management of agriculture, fertility, and abundance.

Keywords: Egyptian agricultural deities, religious thought, fertility, Osiris, inundation, symbolism of silt, Renenutet.

Received: **22/7/2025**

Accepted: **25/8/2025**

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a **CC BY-NC-SA**

المقدمة:

شكّلت العلاقة بين الزراعة والعقيدة في مصر القديمة أحد أبرز أركان البنية الفكرية والدينية التي نهضت عليها الحضارة المصرية، ولم تكن الخصوبة الزراعية مجرد ظاهرة طبيعية أو نتاجًا لدورات النيل الموسمية، بل كانت تجلّيًا لفعل إلهي مقصود تتداخل فيه الرمزية الدينية مع الوظائف الحيوية للحياة اليومية. لقد ربط المصري القديم بين انتظام الفصول الزراعية وظهور القوى الإلهية، فحوّل الأرض المزروعة إلى مجالٍ تتجسد فيه الإرادة الإلهية، وعبّر عن هذا الوعي العميق عبر الأساطير والنصوص المقدسة، والفن، والشعائر، التي أضفت على الزراعة بعدًا ميتافيزيقيًا لا ينفصل عن البنية الكونية والإلهية للعالم.

ومن هذا المنظور، تبادر إلى ذهن الباحث تساؤلٌ رئيسي تبلور عبر الدراسة والتمحيص في

إشكالية علمية مفادها :ما الدور الذي لعبته الآلهة الزراعية في الفكر الديني المصري القديم، وما تجليات الخصوبة الرمزية والطقسية المرتبطة بها؟ ومن هذا التساؤل، انبثقت أسئلة فرعية منها:

- كيف مثّل المصري القديم آلهة الزراعة ودلالات الخصوبة في النصوص والأساطير والفن؟
- إلى أي مدى عبّرت الطقوس الزراعية عن وظائف دينية مُؤطَّرة ببنية رمزية متكاملة؟
- هل انعكست هذه التصوّرات في أنماط السلوك الجمعي والممارسات اليومية للفلاح المصري؟

ومن خلال هذه الإشكالية، تبرز **أهمية** الدراسة في كشف طبيعة العلاقة بين التصوّر الديني للخصوبة وتجلياتها في البنية الرمزية والوظيفية للآلهة الزراعية، مثل أوزير، إيزيس، مين، رننوتت، حابي، نيت، سخمت وباستت، وذلك في محاولة لفهم كيف انصهرت العقيدة الزراعية في الوعي الجمعي وأنتجت نمطًا من التدين المادي المرتبط بالأرض والخصب والفيض، وتمظهر ذلك عبر أشكال الفن والنصوص الطقسية وتوزيع الأدوار الإلهية.

وتكمن **أهداف** هذه الدراسة في تتبع وظائف آلهة الزراعة، وتحليل رموزها، والإضاءة على مكانة الخصوبة الزراعية في بنية الفكر الديني، بوصفها عنصراً مركزياً في النظام العقائدي المصري القديم، بما يكشف عن تجانس مذهل بين العالم الطبيعي والمفاهيم الدينية.

اعتمد الباحث في هذه الدراسة **المنهج التاريخي التحليلي**، متتبعًا النصوص الدينية والمصادر الأدبية والفنية المرتبطة بموضوع البحث، ثم اتّبع **المنهج الرمزي** في تحليل تمثيلات الخصوبة ومضامينها الإلهية والوظيفية، وصولًا إلى استنتاجات ترتكز على الربط بين البنية الاعتقادية والممارسات الزراعية.

أما **الحدود الزمنية** للدراسة، فتنحصر في مراحل مصر القديمة، لا سيما منذ أواخر عصر الدولة الوسطى وحتى نهاية الدولة الحديثة، بينما تشمل الحدود المكانية الوادي والدلتا، مع الإشارة إلى النوبة العليا بوصفها جزءًا من الامتداد الثقافي الجنوبي.

وقد استندت الدراسة إلى مجموعة متنوعة من المراجع، شملت مؤلفات عربية، وأخرى مترجمة، بالإضافة إلى مصادر أجنبية حديثة، وأطروحات أكاديمية متخصصة، فضلاً عن مقارنات علمية مع دراسات سابقة، منها:

-دراسة بعنوان" الآلهة والخصوبة في المعتقد المصري القديم "لأحمد عبد الحليم عبد الله(2021) ، والتي تناولت العلاقة بين الآلهة والنيل، لكنها لم تتعمق في الأبعاد الوظيفية لآلهة الزراعة.

-ودراسة بعنوان: Symbols of Fertility in Ancient Egyptian Religion

لـ(" Emily Teeter (2018 ،

التي ركزت على الجانب الرمزي في تمثيل الخصوبة، دون تحليل شمولي لوظائف الآلهة الزراعية في النصوص والممارسات.

وبينما اكتفت هذه الدراسات بتوصيف جزئي للظاهرة، تسعى دراستنا إلى بناء إطار تحليلي متكامل يُبرز تداخل البنية العقائدية مع الوظيفة الزراعية، ويعيد قراءة النصوص والأساطير من منظور تكاملي جديد.

أولاً: آلهة الزراعة:

1- الإله أوزير:

لم يكن أوزير في المعتقد المصري القديم مجرد إله جنائزي كما يُشاع اختزالاً، بل شكّل أحد أهم التجليات الفكرية لفهم المصريين لدورة الحياة الزراعية والطبيعية. فقد ارتبط هذا الإله بشكل وثيق بفكرة البعث الزراعي، حيث جسّدت أسطورته، ولا سيما في نسختها الأشهر التي دُوّنت في العصور المتأخرة، رؤية المصري القديم للطبيعة بوصفها كيانًا يموت ويُبعث كل عام. ففي التفاصيل الرمزية لمقتله وتقطيع أوصاله ثم جمعها من قِبل إيزيس وبعثه من جديد، تنعكس دورة الزرع والنمو، التي يبدأ فيها النبات من بذرة "ميتة" في باطن الأرض، ثم ينبثق إلى الحياة بفعل قوى خفية (Faulkner,1969, p. 28).

ويُعد طقس "حبّة أوزير " أحد أبرز الممارسات التي تكشف عن البعد الزراعي لهذا الإله، إذ كانت تُشكَّل تماثيل طينية على هيئة أوزير، تُملأ بالبذور، وتُروى بالماء، فتنبت داخلها الحياة النباتية، في تمثيل حيّ لانبعاثه وارتباطه بالخصوبة الموسمية (Budge, 1911, p.379)،ومن بين المحاصيل التي ارتبطت بهذا الطقس والرمزية: القمح والشعير والبقوليات والعدس بما يعكس اهتمام المصري القديم بالمنتجات الغذائية الأساسية لموسم الزراعة (Hornung, 1996, p.112)، وتشير بعض نصوص كتاب الموتى إلى أن "الأرض تخضرّ بجسد أوزير"، في تعبير صريح عن اتصاله بالأرض الحية ونبضها (Allen, 1974,p. 72).

ويؤكد جاك فانديبه، في معرض تحليله لأبعاد هذه العلاقة، أن أوزير لم يكن فقط إلهًا للموتى بل كان الضامن للدورة السنوية للخصب، تلك التي يجد فيها المصري تصوّره الديني للبعث ليس فقط في العالم الآخر، بل في كل موسم زراعي يعيد الحياة إلى الحقول والأنهار (فانديبه، 2005، ص170 .)، هذا الوعي المترابط بين العقيدة والنبات، بين الموت والإنبات، كان جوهريًا في البنية الذهنية للمصري القديم.

وفي الفن المصري، لا تقلّ أهمية هذا المفهوم الرمزي، إذ يظهر أوزير في كثير من النقوش الجدارية بلون أخضر رمزي، أو في هيئة مومياء متوَّجة بعلامة "أتِف"، حاملة لصولجان "الحِقا "وعصا "النخخ"، تعبيرًا عن سلطته المزدوجة على الحياة والموت. كما توثق مناظر المعابد، لا سيما في دندرة وأبيدوس، مشاهد يقدم فيها الملك سنابل القمح والثمار المقدسة إلى أوزير، في طقس يرمز إلى طلب الخصوبة وضمان استمرار دورة الحياة (شفيق غربال، 2000، ص305).

إن قراءة أوزير كإله زراعي، وليست فقط جنائزياً، تفتح الباب أمام فهم أكثر شمولًا للفكر الديني المصري، الذي لم يكن معزولاً عن الواقع البيئي، بل تشكّل من خلاله، وتماهى معه، وعبّر عنه عبر أسطورة، وفن، وطقس، جميعها نُسجت معًا في نسيج ديني متكامل (Teeter, 2011,p.8).

2- الإلهة إيزيس:

تُعدّ الإلهة" إيزيس "من أبرز الإلهات في العقيدة المصرية القديمة، وقد اكتسبت مكانة متميزة لم تقتصر على أبعادها الأسطورية كزوجة لأوزير وأم لحورس، بل امتدت لتجسّد رمزية عميقة مرتبطة بالزراعة، والخصوبة، ودورة البعث الكوني. ويكشف تحليل نصوص متون التوابيت عن حضور إيزيس بوصفها قوة فعالة في إحياء الطبيعة وإنبات الأرض، متجاوزة بذلك صورتها التقليدية كإلهة أم، إلى كونها تجسيدًا حقيقيًا لطاقة الحياة المتجددة.

من أبرز الأدلة النصية على هذا الحضور ما ورد في تابوت " نس مين"، حيث يقول المتوفى: "أنا هو من تُحييه إيزيس، هي التي أزالت العقم من جسدي، فأنبتت الأرض لي، وأنا أعيش كما عاش أوزير (Faulkner, Coffin Texts, Spell 148)".

هذا المقطع يُظهر بوضوح كيف ارتبط فعل إيزيس الإلهي بقدرتها على إحياء الجسد الميت، وهي ذات القدرة التي أسند إليها المصري القديم خصوبة الأرض، باعتبار أن ما يُدفن في التربة لا يموت، بل يُبعث من جديد بفضل قوى الآلهة، وفي مقدمتهم إيزيس. ويظهر السياق العقائدي ان ايزيس كانت مسؤولة عن نمو محاصيل محددة مثل القمح والشعير والبقوليات والكتان والفواكه الموسمية التي يزرعها المصريون(Shafer, 1997, pp. 30–33).

وتأتي هذه الدلالة في سياق عقائدي أوسع يظهر في النصوص الجنائزية والفن الجنائزي، حيث تم تصوير إيزيس مرارًا وهي تجثو إلى جانب جسد أوزير، تبكيه وتلمسه، وكأنها تُعيد إليه الحياة بدموعها ولمساتها. وقد فُسّرت هذه الرمزية في الأدبيات الحديثة على أنها انعكاس لطقوس الزراعة: موت البذرة في الأرض، ثم بعثها على يد القوى الإلهية(Wilkinson, 2003, p.150).

ويؤكد هذا المفهوم المشاهد الفنية التي تُظهر إيزيس وهي تمسك بحزمة سنابل قمح، أو وهي ترضع حورس الطفل في مشهد أيقوني يدل على الاستمرارية والعطاء، إذ تُمثل هذه الصور إسقاطاً مباشراً لفكرة الأرض الأم التي تغذي وتنبت وتُجدد الحياة مع التركيز على محاصيل القمح والشعيروالفواكه المحلية(Casson, 1975, p. 72) .

وتشير البحوث الحديثة إلى أن تجليات إيزيس الزراعية لم تكن محصورة في الطقوس الكهنوتية العليا، بل وصلت إلى مستوى الممارسات اليومية، إذ وُجدت تمائمها في الحقول، وذُكرت في التعاويذ المرتبطة بالحصاد، كما لجأ الفلاحون إلى تقديم القرابين لها لضمان موسم وفير، في تقليد يعكس مدى تغلغل صورتها في الوعي الشعبي المصري(Shafer, 1997, pp. 30–33) .

أما في معابد مثل أبيدوس وفيلة، فقد ظهرت إيزيس في مشاهد شعائرية مرتبطة بدورات البعث الزراعي، حيث تم تصويرها وهي تقوم بطقوس إحياء أوزير كل عام، بالتزامن مع فيضان النيل، في طقس يعكس المفهوم المصري للدورة الطبيعية والتجدد السنوي . (Assmann, 2001, p. 112) ولعل هذه التقاليد الطقسية تبرهن على الدور الزراعي المحوري لإيزيس في الفكر الديني، وعلى العلاقة المتشابكة بين اللاهوت والممارسة الزراعية في وعي المصري القديم.

إن رمزية إيزيس الزراعية، التي تبدأ من النصوص وتنتهي في الحقل، مروراً بالمعابد والطقوس، تؤكد أن هذه الإلهة لم تكن مجرد رمز ديني، بل كانت تمثيلًا ملموسًا لفكرة الحياة المتجددة، والعطاء غير المنقطع، وهو ما جعلها إحدى أهم ركائز العقيدة الزراعية في مصر القديمة.

3- الإله مين:

يحتل الإله " مين " مكانة مركزية ضمن منظومة الآلهة الزراعية في مصر القديمة، لا بوصفه إلهًا للخصوبة الذكورية فحسب، بل كقوة كونية فاعلة تُضفي على الأرض قدرتها على الإنبات والإثمار، وتجسِّد استمرار دورة الحياة في بعديها الزراعي والميتافيزيقي. ويمكن القول إن "مين" يمثل التجسيد الأوضح لفكرة " الخصب المؤسس" الذي لا تنفصل رمزيته عن بنية العالم الزراعي والفكري المصري، حيث تتلاقى في شخصيته معاني الذكورة الإلهية، والنماء الموسمي، والتجدد الكوني، في نسق لاهوتي يعكس عمق العقيدة الزراعية لدى المصريين القدماء.

تعود عبادة مين إلى عصور ما قبل الأسرات، وهو ما تؤكده اللقى الأثرية والنقوش المبكرة المكتشفة في مواقع مثل الكاب وأخميم، وقد تطورت شخصيته اللاهوتية لتصبح مع مرور الزمن محورية في طقوس الزراعة والخصوبة، لا سيما في طقس " خروج الملك إلى الحقل"، الذي كان يُقام مطلع موسم الزرع، ويشارك فيه الملك شخصياً في حرث الأرض أمام تمثال الإله مين (حسن،2006 ، ص 98). لم يكن هذا الطقس مجرد احتفال سنوي، بل كان فعلًا شعائريًا ذو طابع كوني، يعيد تأكيد وظيفة الملك كضامن لاستمرارية الخلق والنظام الزراعي، وممثلًا للإله في إحياء الأرض البكر (Shafer, 1997, pp. 112–113).

وقد ارتبط مين تقليدياً بعدة محاصيل زراعية محددة، أبرزها البقوليات والقمح والكتان والرمان، إذ يعتقد أن قدرته على الخصوبة تمتد لتشمل كل محصول رئيسي يزرع في الوادي المصري لضمان الغذاء واستمرارية المجتمع (Hart, 2005, p. 101).

وفي الفن المصري، يظهر " مين " بصورة نمطية تكاد لا تتغير ، واقفًا منتصب القامة، رافعًا يده اليمنى ممسكًا بسوط، بينما يُظهر عضوه التناسلي بشكل بارز ، في صورة تُجسّد القوة الخِصبية بصفتها مبدأً كونيًا. وترتبط هذه الأيقونية بمبدأ " الخصب الدائم"، حيث تُستدعى صورة الإله سنويًا في طقوس البذر والحصاد، ويُحمل تمثاله في مواكب احتفالية احتفاءً ببداية دورة جديدة من النمو الزراعي (عبد الحليم نور الدين،1998 ، ص122). كما أن السنبلة والكتل النباتية التي غالبًا ما تظهر في الأيقونات المرتبطة به تعزز من حضوره الرمزي كقوة توليدية لا تتعلق فقط بخصوبة الإنسان، بل بخصوبة الأرض ذاتها(Hart, 2005, p. 98).

أما في مستوى النصوص الدينية، فإن الإله مين يحضر بوصفه القوة التي تضمن استمرار دورة الحياة الزراعية حتى في العالم الآخر . ففي إحدى تعويذات كتاب الموتى (الفصل148) نقرأ :" إني آتي إليك يا مين، يا من تُنبت الحقول من صلبك، وتُخرج القمح من أرض الأبدية"، وهي صياغة تؤكد أن الخصوبة، كما يراها المصري القديم، لا تقتصر على العالم الأرضي، بل تتعداه إلى الآخرة، حيث يصبح البعث استمراراً للزرع، والخلود تجسيداً لدورة القمح، في تصور لا يفصل بين الوجودين الفيزيائي والميتافيزيقي (Faulkner, 1990, p. 138).

وتعزز نصوص التوابيت هذا التصور ، ففي تعويذة ، يقول المتوفى: " أنا البذرة التي أرسلها مين، أنا الحياة التي تنبت في أرض من لا يموت"، وهنا نلحظ حضورًا جليًا للبعد الزراعي ضمن خطاب البعث، إذ تغدو هوية المتوفى مرتبطة ببذرة الحياة التي أطلقها " مين"، وكأن الحياة بعد الموت ما هي إلا فعل زرع إلهي تتكامل فيه الطبيعة والدين(Allen, 2006, p. 268) .

من جهة أخرى، لا يمكن إغفال البعد الطقسي المعقّد لشعائر الإله " مين"، حيث كان يُحتفل به في مهرجانات مميزة تتضمن عروضًا موسمية، ومسيرات طقسية تحمل رموز الخصب، وتُقدَّم فيها قرابين من الحبوب والثمار ، تعبيرًا عن الامتنان لتدخله في دورة الزرع والحصاد . كما أن هناك طقسًا خاصًا يُعرف باسم " فتح فم الأرض " كان يُمارَس بشكل رمزي أمام تمثال "مين"، يُقصد به إعادة "فتح " الأرض كل عام لتلقي بذور الحياة، وهو طقس يُعاد فيه تمثيل الفعل الإلهي المولد للخصب.

وقد شهدت فترة الدولة الحديثة دمج شخصية مين مع الإله آمون في مركب "آمون-مين"، وهو اتحاد يجمع بين فكرة السيادة الكونية الممثلة بآمون والقوة الخصبية الزراعية الممثلة بمين، ليصبح هذا المركب تعبيرًا رمزيًا عن العلاقة بين الحكم الإلهي والنماء الزراعي، حيث تُفهم الخصوبة لا بوصفها فعلًا بيولوجيًا فقط، بل كشرط أساسي لاستقرار الدولة واستمرار النظام الكوني (Wilkinson, 2003, p. 119) .

إن دراسة شخصية الإله " مين" من منظور وظيفي ورمزي تُظهر بوضوح أن العقيدة الزراعية في مصر القديمة لم تكن مجرد تصور لآلهة تنبت الزرع، بل كانت نظاماً فكريًا متكاملًا تتقاطع فيه الدلالات الطقسية، والرمزية، والنصوصية، والبصرية، لتعبر عن وعي مصري عميق يرى في الزراعة امتدادًا لفعل إلهي خلاق، وفي الخصوبة فعلاً طقسيًا مؤسِسًا للنظام الكوني والاجتماعي على السواء.

4- الإلهة رننوتت:

في خريطة الآلهة الزراعية المصرية القديمة، تقف الإلهة " رننوتت " في موضع بالغ الخصوصية، ليس بوصفها مجرد ربة للحصاد، بل بصفتها تمثيلاً دقيقاً لفكرة الرعاية والضمان والامتداد الحيوي بين الأرض والبشر. لقد تطورت صورة رننوتت منذ البدايات المبكرة للعقيدة المصرية لتجسّد حضورًا أنثويًا محورياً داخل النظام الزراعي والطقسي، باعتبارها " ربة الغلال" و"سيدة الصوامع"، تلك التي تضمن أن تنمو الحبوب بسلام وتُخزَّن في أمان، لتشكل بذلك حلقة الختام في دورة الزراعة التي تبدأ بالخصب وتنتهي بالتوزيع والاستهلاك (قانون،2001 ، ص88).

وقد ارتبطت رننوتت تقليدياً بعدة محاصيل زراعية محددة، أبرزها العدس والشعير والبقوليات والقمح، إذ كان يعتقد أن حضورها الإلهي يضمن نمو هذه المحاصيل وحفظها في المخازن بسلام(أبو عساف،2019 ، ص227).

وما يلفت الانتباه في شخصية رننوتت أنها لا تُختزل في وظيفة إنتاجية مباشرة، بل إنها تتجاوز البُعد الزراعي إلى أفق رمزي عميق، حيث يجمع حضورها بين البذل والحماية، وبين العطاء والحراسة .فهي غالبًا ما تُصوَّر في الفن المصري كامرأة برأس كوبرا، أو كثعبان أنثى، وهي صورة دلالية تعكس الطبيعة الثنوية للإلهة :فهي من جهة قوة خفيّة تحيط بالحبوب في باطن الأرض وتحرسها من الفساد، ومن جهة أخرى كائن دفاعي قابع في الحقل، يردّ الأذى ويمنع الآفات، ويؤمّن استقرار الغذاء في الوعي الجماعي المصري (Wilkinson, 2003, p. 150).

ومن الملاحظ أن رمزية رننوتت لم تكن محصورة في العالم المحسوس، بل امتدّت لتتغلغل في النصوص الدينية ذات البعد الأخروي . ففي الفصل 168 من كتاب الموتى، تظهر بوصفها حارسة" حقول إيارو"، وهي جنة الزرع المقدسة التي يُؤمل للمتوفى أن يحيا فيها ويحرث ويجني كما كان يفعل في دنياه. وفي هذا السياق، لا تكون رننوتت مجرد كيان مقدّس، بل تُستدعى لتكون ضامنة للوفرة الأبدية، أي أن وظائفها الزراعية تنتقل رمزياً إلى العالم الآخر كاستمرارية لفعل الخصوبة والحياة (Faulkner, 1990, p. 165). ويعزز هذا الحضور نصٌّ من نصوص التوابيت، يقول فيه المتوفى : "لتأتِ إليّ رننوتت وتملأ سلّتي بالغلال، فأنا ابن النماء وأخو الوفرة"، وهو نداء واضح إلى الإلهة كي تنقل فعلها الحي من الأرض إلى الحقل الأخروي، في اندماج بديع بين العقيدة الزراعية والمعتقد الأخروي.

كما مارست رننوتت حضورًا طقسيًا فاعلًا في المجتمع المصري، حيث ارتبطت احتفالات نهاية موسم الحصاد بذكرها، وتُقدَّم القرابين باسمها من القمح والعسل والخبز في مشاهد شكرٍ وتمجيد. وقد أشار الباحث أبو عساف إلى أن "رننوتت"، في تصور المصريين القدماء، كانت تُعد الإلهة الحامية للمحاصيل والمخازن، وقد اقترنت بمفهوم' الحصاد المبارك 'الذي يظهر جليًا في النصوص الزراعية ذات الطابع الديني، خصوصًا تلك التي تُتلى في طقوس جني المحصول السنوي، حيث كانت تُستحضر عبر الأناشيد لضمان استمرار الوفرة والحماية من الآفات (أبو عساف،2019 ، ص227). كما وجدت تمائم كثيرة تحمل صورتها وُضعت في صوامع الحبوب وداخل المخازن، تعبيرًا عن قناعة راسخة بقدرتها على طرد الأرواح الضارة والحفاظ على البركة (عبد الحليم نور الدين،1998 ، ص145)، والجداريات التي وُجدت في مقابر العاملين والنبلاء في طيبة تُظهر بوضوح هذا الرابط بين رننوتت والوفرة، حيث كانت تُصوَّر واقفة قرب صوامع الحنطة، تشير بيدها إلى الخير القادم، وتحمل في نظرتها طمأنينة غذائية تتجاوز الحاجة اليومية إلى ما هو أعمق، أي إلى شعور الارتباط بالكون (Shafer, 1997, p. 128).

وفي تطوّر لافت في تصورها اللاهوتي، اندمجت رننوتت خلال الدولة الحديثة مع الإلهة "شايت "إلهة المصير، وهو ما يكشف عن عمق وظيفتها الرمزية، حيث أصبحت الخصوبة الزراعية في فكر المصري القديم لا تتعلق فقط بموسم بعينه، بل بالمصير كلّه، وكأن مستقبل الإنسان مكتوب في سلّة القمح، وتحت رعاية ربة الغلال. كما اقتربت دلالاتها من الإلهة "مريت سيغر "حامية الجبانة،

في اتساع رمزي جعل من رننوتت لا راعية للحقل فقط، بل حامية للموتى في قبورهم أيضًا، الأمر الذي يُظهر تداخلاً بين الغذاء والحماية، بين الغلال والخلود، في نسيج لا ينفصل بين المقدس والمعيش(Assmann, 2001, pp. 72–73).

5- الإله حابي:

يُعد الإله "حابي" حجر الزاوية في العقيدة الزراعية للمصريين القدماء، ليس فقط لكونه التجسيد الإلهي لنهر النيل، بل لكونه القناة التي من خلالها تتجلى رحمة الآلهة ورغبتهم في استمرار الحياة .لقد رأى المصري القديم في "حابي" أكثر من مجرد قوة طبيعية، بل اعتبره كائنًا إلهيًا يحتفظ في طياته بسر البقاء، والضامن الأول لدورة الزراعة والخصوبة. ففي مجتمع يرتكز اقتصاده على الزراعة، لم يكن النيل مجرّد نهر، بل كان قلباً نابضاً يحمل كل عام بشرى البعث والانبعاث من جديد، وبهذا المعنى ارتبط "حابي" بفكرة التجدد التي تتجاوز المجال المادي إلى بُعد ميتافيزيقي أعمق (عبد الحليم نور الدين،1998 ، ص157).

وقد ارتبط حابي بعدة محاصيل زراعية محددة كانت تعتمد على الفيضان السنوي للنيل، أبرزها البقوليات والخضراوات الموسمية، إذ كان المصريون يرون أن نجاح نمو هذه المحاصيل مرتبط مباشرة بمياه فيضان النهر ورعاية حاب الإلهية (Shafer, 1997, p. 140).

ولعل أبرز ما يميز صورة حابي في المتخيل المصري هو تلك الأيقونية التي تظهره بهيئة رجل ممتلئ الجسد، ذو ثديين، في اندماج رمزي لصفات الذكورة والأنوثة، وكأن الطبيعة، في لحظة خصبها القصوى، تُنتج ذاتها من ذاتها. هذا التصوير غير النمطي يعكس فهمًا ميتافيزيقيًا للدورة الزراعية بوصفها فعلاً إلهيًا متوازنًا، يجمع في جوهره بين البذور (الذكرية) والتربة (الأنثوية)، ويعيد إنتاج الكون في مشهد فيض مائي .روحي سنوي. كما يظهر حابي وهو يحمل نباتات اللوتس والبردي، رمز وجهي مصر: الجنوب والشمال، وهو ما يُجسّد بوضوح الرؤية التوحيدية لوحدة الأرض والدولة والكون من خلال وسيط إلهي واحد :نهر النيل(Wilkinson, 2003, p. 107).

لقد أولى المصريون لحابي طقوسًا خاصة، أبرزها احتفالات الفيضان السنوية، التي كانت تتضمن مواكب نهرية، وإنشاد تراتيل مقدسة، وتقديم القرابين في المعابد، ولا سيما في الأقصر وأسيوط وإدفو. وتُظهر النقوش والنصوص وجود نشيد "لحابي" يُكرَّر كل عام، يصفه بأنه " مُحيي الحقول، ومُغني الشعوب، ورازق المدن"، وهو نص ديني يعكس عمق العلاقة بين العقيدة الزراعية والوظيفة الاجتماعية للنيل، حيث لا غلال دون فيض، ولا فيض دون رضى الآلهة، ولا رضا دون طقس وتضرّع وشكر (Shafer, 1997, p. 140).

وفي البنية النصوصية الجنائزية، يتكرّس حضور حابي كوسيط للحياة الأبدية. ففي الفصل 186 من كتاب الموتى، يناشد المتوفى الإله حابي بقوله: " اجعل لي مكانًا في حقول إيارو كما منحت الخبز للأحياء"، وهنا يتجاوز حابي حدود الطبيعة الفيزيائية إلى المجال الأخروي، حيث يصبح فيضه فعلاً لاهوتيًا يتجلى في "حقول إيارو"، الفردوس الزراعي الذي ينشده كل مصري بعد الموت. هذه الرؤية لا تفصل بين الزرع في الأرض والزرع في الآخرة، فكلاهما يحتاج إلى فيض، وكلاهما يحتاج إلى رعاية إلهية(Faulkner, 1990, p. 183).

وتعزز نصوص التوابيت هذا البُعد، إذ يُذكر : " أن حابي يغسل الأرض ويحييها"، وهي عبارة تختصر المعنى اللاهوتي للفيضان بوصفه لحظة خلق سنوية، يُعاد فيها تفعيل النظام الكوني، وتستيقظ الأرض من سباتها، كما يستيقظ الموتى في عالمهم الآخر. وقد كان لهذا التصور انعكاسه في بنية الدولة، إذ غالباً ما ارتبط فيض حابي بشرعية الملك، واعتُبر الفيض الوفير علامة على رضا الآلهة عن الملك، وغيابه نذير اختلال في موازين الحكم والنظام (Allen, 2006, p. 222).

ولم يكن هذا الربط بين حابي والسلطة السياسية مجرّد فرض ديني، بل تجلى فعليًا في النقوش التي تُظهر الملك وهو يتلقى من حابي رموز الوفر: الماء، والنبات، والغلال. وفي مشهد بديع في معبد الكرنك، يظهر حابي وهو يربط بين زهرتي اللوتس والبردي حول قاعدة

ترمز لمصر الموحدة، وكأن نهر النيل هو الذي يخيط جغرافيا البلاد بخيط من الماء والخصوبة والوحدة. هذا البُعد السياسي الرمزي يعكس بدقة وعي المصري القديم بوحدة المصير بين الفيضان والاستقرار السياسي والاجتماعي.

ومن خلال ما سبق، يبدو جلياً أن حابي لم يكن فقط "إله النهر"، بل كان المبدأ الحيوي الذي بُنيت عليه دورة الزراعة والاقتصاد والدين والسياسة في مصر القديمة. كان ظهوره السنوي إعلانًا كونيًا بأن الحياة ما تزال ممكنة، وأن الأرض ستعود إلى إنباتها، وأن الكون في حالة توازن مستمر. وقد استطاع المصري أن يُطوّع هذه التجربة الطبيعية اليومية في بنية رمزية فكرية معقدة، يرى من خلالها أن الفيضان ليس حدثاً طبيعياً بل فعلاً إلهياً، وأن "حابي" ليس مجرى ماء، بل هو الحياة بعينها.

6- الإله نيت:

في عمق الفكر الديني المصري القديم، تحتل الإلهة "نيت" موقعًا مركزيًا باعتبارها إحدى أقدم وأغزر الآلهة رمزًا، وقد تعددت وظائفها واتسعت لتشمل مفاهيم الخلق، والحماية، والحياكة، والحرب، لكنها في بعدها الزراعي الدقيق جسدت مفهوماً عميقاً للخصوبة الكامنة والتكوين الخفي. لم تكن نيت إلهة للزرع بالمعنى التقليدي مثل رننوتت أو حابي، لكنها مثّلت في المخيال الديني المصري القوى الكونية الكامنة في لحظة الخلق، بما يشمل البذرة قبل أن تنبت، والأرض قبل أن تُروى، والفكرة قبل أن تتجسد. هذا المستوى الرمزي المرتبط بالحياكة والنسيج، لا ينفصل عن تصورات المصري القديم حول الدورة الزراعية، التي تبدأ بالصمت والتخفي، قبل أن تخرج إلى الضوء والنمو (عبد الحليم نور الدين،1998 ، ص203).

عبدت نيت في مدينة سايس بمنطقة الدلتا، وهي واحدة من أغنى مناطق مصر زراعياً، وكان لها مركز كهنوتي شديد التأثير منذ عصور مبكرة. ووُصفت بأنها "الأم الأولى" و "التي وُجدت عندما لم يكن شيء قد وُجد"، وهي عبارات ذات دلالة زراعية ضمنية: فالبذرة، كفكرة أولى للحياة، توجد في رحم الأرض في صمت، تمامًا كما وُجدت نيت في اللازمن، قبل انبثاق الخلق. إنها الإلهة التي ترمز إلى الصيرورة لا إلى الفعل، وإلى الطاقة المبدئية التي تحمي وتكوّن، لا التي تحصد أو تزرع فقط(Assmann, 2001, p. 85).

ولعل رمزية الحياكة المرتبطة بنيت لا يمكن فهمها بعيداً عن التصور المصري لدورة الزراعة. فالمصريون رأوا الأرض كنسيج حي، والزرع كخيوط تُغزل فيه. ويظهر هذا المعنى في بعض الترانيم المتأخرة، حيث توصف نيت بأنها "التي تبسط الأرض كما يُبسط القماش، وتغزل الزرع في النسج الأخضر". بهذا المعنى، لا تكون نيت مسؤولة عن النمو فقط، بل عن "تنظيم النمو"، أي أنها تحوّل الفوضى الطبيعية إلى نظام قابل للعيش وهو ما تمثّله الزراعة في جوهرها(Shafer, 1997, p. 152).

وفي المشهد الفني، تظهر نيت غالباً تاجها الأحمر الذي يرمز إلى الدلتا، وتحمل رموزًا كالسهام والأقواس، والتي وإن بدت لأول وهلة عسكرية، فإنها في القراءة الرمزية الزراعية تمثل أدوات الاختراق البذرة التي تنفذ إلى التربة، والقوة التي تُحدث التغيير في باطن الأرض. كما تظهر نيت أحيانًا جالسة خلف موائد القرابين، في موضع إشراف على العطاء، لا كمعطية مباشرة، بل كمنظِّمة لحركته ومُراقبة لتوازنه (Wilkinson, 2003, p. 144).

أما في النصوص الجنائزية، فتحضر نيت بصفتها "حافظة البذور في الظلمة"، كما في تعويذة من نصوص التوابيت (CT Spell 609)، حيث تتجلى كإلهة تسهر على البذور قبل أن تنبثق، كما تسهر على جسد المتوفى قبل بعثه. هذا التقاطع بين البذور والموتى يعكس وحدة تصورية في الفكر المصري، حيث تُعامَل البذرة مثل الجسد :تُدفن، ثم تُبعث .وفي كتاب الموتى (الفصل17)، ترد نيت بين

الإلهات اللواتي "يغزلن خيوط الوجود حول المتوفى"، وهو تعبير يجمع بين نسيج الحياة ونسيج الكفن، بين الغزل كخلق والغزل كتحضير للبعث (Faulkner, 1990, p. 34).

إن التأمل في هذه الصور والوظائف يكشف أن نيت لم تكن مجرد إلهة نسوية ذات طابع كوني، بل كانت في وعي المصري القديم نموذجًا للقوة الهادئة المنظمة، التي تُراكم الفعل في الصمت قبل أن تسمح له بالظهور. إنها المسؤولة عن "مرحلة ما قبل النماء"، حيث تكمن الخطورة الأكبر في الدورة الزراعية: لحظة البذرة المطمورة، الخفية، المعرضة للفناء أو الانبعاث. ولذا فقد علّق الفلاحون تمائمها في صوامع الحبوب، واستحضروها في الطقوس المرتبطة بالحرث والزراعة الأولى، في محاولة لحماية ما لم يُولد بعد.

بهذا المعنى، تصبح نيت إلهة" الاحتمال الزراعي"، وهي التي تسهر على إمكانية الزرع أكثر مما تسهر على فعله. وإن كان حابي هو الفيضان، ورننوتت هي الحصاد، فإن نيت هي الصمت الكامن في قلب التربة، هي الحكمة التي تُعيد تشكيل الفوضى، والنظام الذي يتجلى في كل نبتة تُولد من رحم الظلام.

7- سخمت – باستت :

قوة التطهير وحنان الحماية في دورة الزراعة المصرية في نسيج المعتقد الزراعي المصري القديم، لم تكن مفاهيم الخصوبة والنماء منعزلة عن مفاهيم الحماية والتطهير، بل كانت تتكامل معها في جدلية حيوية تُعيد تشكيل فهمنا لدورة الزراعة بوصفها فعلًا دينيًا واجتماعيًا متكاملًا .وفي هذا السياق تبرز الإلهتان سخمت وباستت كثنائية رمزية متضادة-متكاملة، تمثلان بوضوح تلك اللحظتين الحاسمتين في الدورة الزراعية :لحظة التهيئة والتطهير، ولحظة الحفظ والرعاية. سخمت، الإلهة اللبؤة، لم تكن في وعي المصري القديم مجرد رمز للقوة والفتك، بل تجسيدًا لما يمكن أن نسميه بـ"التطهير المؤسس"؛ أي القوة التي تسبق الخلق، وتُعدّ له المجال .كانت تُعبد بوصفها" سيدة اللهيب"، وتُستدعى في بدايات العام الزراعي لطرد الأرواح الضارة، وتطهير الأرض من مسببات العفن والفساد .هذا الطقس لم يكن رمزيًا فحسب، بل انعكس في الممارسات الفعلية للفلاحين الذين كانوا يُشعلون النيران في الحقول القديمة قبل الزرع، في ما يبدو إعادة تمثيل ملموس لوظيفة سخمت كقوة تُنقّي الأرض قبل أن تُخصب (عبد الحليم نور الدين،1998 ، ص191).

وفي النقوش الطقسية لمعابد الكرنك وإسنا، نجد" تراتيل تهدئة سخمت "تُتلى مطلع موسم الفيضان، في محاولة لترويض هذه القوة الكامنة التي إن لم تُحتوَ قد تهلك الزرع. فوظيفتها ليست التدمير بل الحماية من التدمير، وهي بهذا تمثل الجانب الحاد من طقس الزراعة الذي يحتاج إلى توازن دقيق بين القوة والانضباط (Shafer, 1997, p. 197).

على الطرف المقابل، تتجلّى باستت، الإلهة القطة، بصورتها الأليفة، كرمز للرعاية وحفظ المنزل والغلال. لكنها لم تكن محصورة في إطار العاطفة الأنثوية، بل لعبت دوراً عملياً في حياة الفلاح، إذ ارتبطت بالقطط التي كانت تحمي الصوامع من الفئران، ما جعل عبادتها تمتد من المعابد إلى البيوت والحقول .في بوباستيس، مركز عبادتها في الدلتا، كان عيدها يُقام في موسم ما بعد الحصاد، احتفالًا بالوفرة، وكان يُعتقد أن حضورها يجلب السلام والطمأنينة للمحاصيل(Hart, 2005, p. 134).

هذه الثنائية الوظيفية تنعكس في النصوص الجنائزية أيضاً .ففي كتاب الموتى (الفصل91)، تقول سخمت: "أنا التي تطرد الفساد وتطهّر الحقول"، وهو نص يربط بين فعلها المطهر وشرط الزراعة (Faulkner, 1990, p. 112) ، بينما ترد باستت في نصوص التوابيت بوصفها "التي تهب السكينة في صوامع الحبوب"، دلالة واضحة على امتداد حضورها من المجال الحي إلى العالم الآخر، حيث يُرجى منها أن تحمي ما جُني في الحياة ليبقى محفوظًا بعد الموت(Allen, 2006, p. 192).

وقد كشفت الحفريات الأثرية في الفيوم عن تمائم مزدوجة لسخمت وباستت تُوضع في الحقول ومخازن الغلال، ما يؤكد أن المصري القديم لم يرَ فيهما قوى متعارضة، بل مكملتين لبعضهما، يمثلان معاً شرط التوازن في الدورة الزراعية. سخمت تُعد الأرض وتذود عنها، وباستت تحرسها وتضمن استمرار خصبها، في نظام عقدي يرى أن العنف والرعاية، الغضب والطمأنينة، هما وجهان لحقيقة واحدة : خصوبة الأرض لا تأتي إلا بالحماية، ولا تدوم إلا بالحكمة.

بهذا المعنى، تُمثل سخمت وباستت في المعتقد المصري القديم البنية التحتية غير المرئية لكل ممارسة زراعية. فالفلاح حين يبذر، لا يلقي بالبذور فقط، بل يستدعي معها القوى الكامنة التي تنظّم الحياة .ولذلك فإن الزراعة لم تكن مجرد حرفة، بل طقساً منضبطًا يراعي القوى الغيبية ويطلب رضاها، عبر طقوس تدعو سخمت حين تُفتح الأرض، وتطلب باستت حين تُملأ صوامع الحبوب.

ثانياً: البنية الرمزية والوظيفية للخصوبة الزراعية في الفكر الديني المصري القديم: يعكس الفكر الديني المصري القديم رؤية شمولية للخصوبة الزراعية، إذ يتم دمج عناصر الطبيعة مثل الماء والطمي والقمح والأرض السوداء ضمن نسق لاهوتي متكامل يربطها بعناصر الزمن الكوني، وبمفاهيم الموت والبعث، وكذلك الطقوس الموسمية وطقوس السلطة الملكية. هذه المنظومة الروحية تسهم في تجسيد الخصوبة كحالة وجودية دائمة في السياق المصري القديم، وموحدة ضمن رؤية دينية وكونية لا تقبل الفصل بين الطبيعة والإلهية.

في إطار الفكر الديني المصري القديم، تُعتبر الخصوبة الزراعية الركيزة الأساسية لمنظومة دينية تشمل بين جوانبها الأرض والآلهة والبشر ، وفقًا لرؤية كونية مترابطة. فالزراعة في هذه الرؤية ليست مجرد فعل اقتصادي أو بيولوجي، بل هي عنصر جوهري في إطار ديني عميق يجمع بين الزمن الكوني والطقوس الدينية ليشكّل دورة دائمة من النمو والدمار والتجدد، ما يعكس محورية الزراعة في الحفاظ على النظام الكوني أو ما يُعرف بـ"ماعت"، وتجديد دورة الحياة.

يرتبط مفهوم الخصوبة ارتباطاً وثيقاً بالدورة الزراعية السنوية، التي تعتمد في تنظيمها بشكل أساسي على فيضان نهر النيل السنوي. يبدأ الموسم الزراعي بفيضان النيل، والذي يُعبَّر عنه في النصوص الدينية كحدث إلهي يجلب الخير والخصب، ويغمر الأرض بالمياه الطمييية التي تتحول إلى "الأرض السوداء" الخصبة، في مقابل "الأرض الحمراء" القاحلة (عبد الحليم نور الدين،2006 ، ص185) ، هذه الظاهرة، التي تتجاوز كونها مجرد ظاهرة طبيعية، تُعتبر بمثابة دورة إلهية تتجسد في النصوص والرموز كعملية تجدد للحياة، حيث يساهم الفيضان بركة الآلهة التي تُحيي الأرض وتعيد خصوبتها(Assmann, 1995, p.p.75-80).

تُعتبر رموز الماء والطمي من بين أبرز تجليات الخصوبة في الفكر الديني المصري، ويُجسِّدها الإله حابي الذي يُصور في الفن المصري القديم وهو يحمل أوعية من الماء والطمي، دلالة على دوره المحوري في إحياء الأرض وضمان استمرارية الدورة الزراعية (شوقي زكي،1982 ، ص210)، هذا التصوير الرمزي يشير إلى الوفرة والخصب، ويُبرِز البُعد اللاهوتي لظاهرة فيضان النيل (Wilkinson, 2003, p.106).

من بين الرموز الأساسية للخصوبة، يظهر القمح كأيقونة رئيسية للحياة والنماء، حيث كان يُعد الغذاء الأساسي ويُتجسد في سنابل القمح التي تزين تيجان الآلهة الزراعية، كما تُحمل في الأيادي كدلالة على البركة والتجدد (حسن،1991 ، ص 140). كما تُصور الإلهات مثل إيزيس كرموز للأمومة والاحتضان، مؤكدةً على الدور الإلهي في حماية الأرض والنباتات والبشر ، مما يربط بشكل عميق بين الخصوبة الزراعية والأمومة الإلهية(Hart, 2005, p.129).

تُعَبر في الفكر المصري القديم عن مفاهيم النماء والدمار والتجدد، والتي تتداخل ضمن قوانين لاهوتية تحدد دورة الحياة والموت والبعث. تتجسد هذه المفاهيم في أسطورة الإله أوزير ، الذي يمثل دورة الزرع والحصاد عبر موته وقيامته. فالموت في هذه السياقات لا

يُعتبر نهاية، بل مرحلة انتقالية تُؤكد على استمرارية الدورة الزراعية في الكون، تجسيدًا لقانون الإلهي للخصوبة والنماء (Assmann, 2001, p.p. 98-103).

تُعزز الطقوس الموسمية، مثل أعياد الحصاد والبذر، هذه الدورة عبر احتفالات ضخمة تشمل مواكب دينية وطقوس تقديم القرابين للآلهة الزراعية، بهدف ضمان استمرارية دورة الحياة وخصوبة الأرض. من أبرز هذه الأعياد، عيد الفيضان (شمو) الذي يُعتبر بداية السنة الزراعية، حيث تُنقل تماثيل الآلهة عبر القوارب في مواكب مهيبة، ويُقدَّم الطعام والشراب كقرابين دعاءً لتجدد الخصوبة(Shafer, 1997, p.p.172-180).

يُدمج مفهوم الخصوبة الزراعية بعمق في الطقوس الملكية، حيث يُنظر إلى الملك كـ "زارع مقدس"، وهو الوسيط بين الآلهة والبشر، ويؤدي الطقوس التي تكرس دوره في ضمان الخصوبة وتجديد الأرض. تشمل طقوس الملك تقديم القرابين، والتمثيل الرمزي للبذر والحصاد، لتأكيد دوره في استمرار دورة الحياة وحفظ توازن الكون (المكاوي،2015 ، ص198 ، هذا الاندماج بين السلطة الدينية والسياسية يجعل الملك عنصراً محورياً في منظومة الخصوبة الكونية، حيث تصبح زراعته الرمزية فعلاً مقدساً (Lichtheim, 1973, p.55).

الخاتمة:

أظهرت الدراسة أن آلهة الزراعة في الفكر الديني المصري القديم لعبت دوراً محورياً وعميقاً في تنظيم وفهم الحياة الزراعية، حيث كانت تمثل قوى طبيعية وروحية متكاملة تؤطر الخصوبة والزراعة ضمن منظومة رمزية ودينية شاملة .وقد تجلّت هذه الوظائف الدينية للآلهة في النصوص الدينية والأساطير التي جسّدت العلاقة بين قوى الطبيعة والزراعة، كما برزت في الأعمال الفنية والنقوش التي مثلت تلك الآلهة بدلالات واضحة للخصوبة والنمو والحماية.

وتبيّن من التحليل أن المصري القديم مثل آلهة الزراعة بتنوع معاني رمزية تعكس أدوارها العملية والروحية، فكل إله أو إلهة كان يرمز إلى جانب محدد من دورة الحياة الزراعية :من إحياء الأرض وتجديدها، إلى حماية المزروعات من الأخطار، مرورًا بضمان خصوبة التربة والمحاصيل . وأظهرت الدراسة أن هذه الأدوار لم تكن متساوية في الأهمية فمثلاً الإله أوزير كان مسؤولاً عن الدورة السنوية للخصب وضمان البعث الزراعي السنوي، بينما كانت الإلهة سخمت تطهر الأرض قبل الزراعة لضمان خصوبة التربة، وهو مايبرز تفاوت أهمية الآلهة في عقيدة الخصوبة مع وجود تكامل بين أدوارها لضمان دورة زراعية متكاملة ومستمرة. كما أظهرت الطقوس الزراعية المرتبطة بهذه الآلهة تعبيرًا واضحًا عن وظائف دينية مؤطرة ببنية رمزية متكاملة، حيث كانت الطقوس جزءًا جوهريًا في تثبيت ممارسات الزراعة وتنظيمها، ودمجها في الحياة اليومية والاجتماعية.

وعلى مستوى السلوك الجمعي، تكشّف من الدراسة أن هذه التصورات الدينية انعكست بشكل ملموس في ممارسات الفلاح المصري القديم، الذي لم يرَ في الزراعة مجرد نشاط مادي فحسب، بل جزءًا من منظومة دينية تحكمها أسس مقدسة تربط بين الأرض، والآلهة، والإنسان .إذ كان الدين الوسيلة التي من خلالها تبلورت القواعد الزراعية وتُعمم بين أفراد المجتمع، مما أضفى على الممارسات اليومية للفلاح طابعاً طقسياً وروحياً، وساهم في الحفاظ على استمرارية الإنتاج الزراعي في ظل مجتمع يفتقر إلى أدوات تنظيم مدنية حديثة.

بهذا، أجابت الدراسة على التساؤلات المطروحة في البداية، موضحةً أن آلهة الزراعة كانت أكثر من رموز دينية؛ بل كانت عناصر فاعلة في بناء منظومة متكاملة تجمع بين العقيدة، والرمزية، والطقوس، والممارسة اليومية، مع إبراز تفاوت الأدوار بين الآلهة وتكاملها في تحقيق الخصوبة الزراعية، لتشكل بذلك حجر الزاوية في الفكر الزراعي والديني للمجتمع المصري القديم.

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المراجع:

المصادر:

1- Allen, James, 2006, The Ancient Egyptian Pyramid Texts, Society of Biblical Literature.
2- Faulkner, R. O, 1969, The Ancient Egyptian Pyramid Texts. Oxford: Clarendon Press.
3- Faulkner, R.O., 1977, The Ancient Egyptian Coffin Texts, Vol. II, Aris , Phillips Ltd.

المراجع الأجنبية:

4- Allen, Thomas G, 1974, The Book of the Dead or Going Forth by Day, Chicago: University of Chicago Press.
5- Assmann, Jan, 2001, The Search for God in Ancient Egypt, Trans. D. Lorton, Cornell University Press.
6- Assmann, J, 1995, Egyptian Solar Religion in the New Kingdom, London: Kegan Paul.
7- Budge, E.A. Wallis, 1911, The Gods of the Egyptians, Vol. II. London: Methuen.
8- Casson, Lionel, 1975, Everyday Life in Ancient Egypt, Penguin Books.
8- Faulkner, Raymond O, 1990, The Egyptian Book of the Dead: The Book of Going Forth by Day, Chronicle Books.
9- Hart, George, 2005, A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, Routledge.
10- Hornung, E, 1992, The Ancient Egyptian Books of the Afterlife, Cornell University Press.
11- Lichtheim, M, 1973, Ancient Egyptian Literature: Volume I, Berkeley: University of California Press.
12- Shafer, Byron E. (ed.), 1997, Religion in Ancient Egypt: Gods, Myths, and Personal Practice, Cornell University Press.
13- Teeter, Emily, 2011, Religion and Ritual in Ancient Egypt, Cambridge: Cambridge University Press.
14- Wilkinson, R.H, 2003, The Complete Gods and Goddesses of Ancient Egypt, Thames , Hudson.

المراجع المترجمة:

15- بايرون، شيفر، 2010، المعابد والمقدسات في مصر القديمة، ترجمة :نزار رضا، :دار الوراق، ، بيروت.
16- فانديبه، جاك ، 2005، ديانة مصر القديمة، ترجمة :زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

المراجع والأبحاث العربية:

17- أبو عساف، حسن، 2019 ،رمزية الخصوبة في معتقدات المصريين القدماء، مجلة جامعة دمشق، العدد 2، ص227.
18- المكاوي، عبد العزيز ،2015 ، المعتقدات الجنائزية في مصر القديمة، عين للدراسات والبحوث، القاهرة.
19- المسعودي، محمد، 2004 ، الفكر الديني في مصر القديمة، ، مكتبة النهضة، القاهرة.
20- صالح، عبد العزيز ،1999 ، مصر في فجر التاريخ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
21- غربال ، شفيق ، 2000، موسوعة مصر القديمة، دار الشروق، القاهرة.
22- فاطمة، حسن،2007 ،" نيت في الفكر المصري"، مجلة دراسات مصرية، العدد15 .
23- فاطمة ، حسن،2006 ،" الملك والطقوس الزراعية في مصر القديمة"، مجلة الآثار المصرية، مجلد7 ، القاهرة.
24- فاطمة، حسن،2009 ،" النيل في الفكر الديني المصري"، مجلة التاريخ والحضارة المصرية، العدد11 .
25- قانون، عبد العزيز ،2001 ، الديانة المصرية القديمة(نشأتها وتطورها ووظائفها)، مكتبة النهضة، القاهرة.
26- كمال ، حسن،1991 ، الفن المصري القديم وتأثيره في العمارة والفنون الحديثة، دار النهضة، القاهرة.
27- نبيه، مصطفى ،2014 ، الآلهة والألوهية في مصر القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
28- نور الدين، عبد الحليم الدين، 1997، في مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
29- نور الدين، عبد الحليم ،2006 ، الديانة المصرية القديمة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

30- نور الدين، عبد الحليم ،1998 ، موسوعة مصر القديمة، الدين والآلهة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.